الأهرام

قبل خراب البصرة

يحكى ان أحد خلفاء بني امية عرف بجبروته وطغيانه، وفي يوم من الايام استدعى الخليفة أحد الرجال الصالحين لكي يستلهم منه الرشد والنصيحة، وبينما كان يجلس ذلك الرجل الصالح في مجلس الخليفة، طلب منه الخليفة بأن يناوله مداة وقلماً كانا بالقرب منه، فأبى الرجل الصالح معتذراً، ولما سأله الخليفة مستغرباً: لماذا ؟ أجاب الرجل: انني اخشى ان تكتب حكماً أو قراراً ظالماً، فأتحمل انا جزء من الاثم لأنني اكون قد عاونتك على ظلمك باعطائك المداة والقلم. دعونا نستلهم من هذه الحادثة الدروس والعبر، فلقد خشي ذلك الرجل الصالح بأن يتحمل ولو أقل قدر من ذنب المشاركة في فعل ظالم او عدوان جائر.

ان ما يحدث اليوم في العراق يبدو غريباً حقاً، قد يعجز عن تفسيره العقل البشري، بل وقد يقف علم تحليل النفوس البشرية عاجزاً عن تحليل حقيقة ما يحدث، فلقد جاءت دولة عظمى بأساطيلها وجيوشها عابرة القارات والمحيطات لكي تغزو بلداً يعاني شعبه الحصار الدولي الخانق لمدة اكثر من ثلاثة عشر عاماً ولكي تقتل الابرياء المدنيين من ابناء ذلك الشعب البائس.

قد يكون البعض منا خدع بالتوقعات الامريكية الخاطئة، او بالاعلام الامريكي المضلل بأن الحرب على العراق ستكون سريعة وخاطفة، وان الجيش العراقي سيستسلم عند دخول اول دبابة امريكية، وسيستقبل الشعب العراقي الغزاة بالرقص والترحيب. أما الآن وقد انقلبت الحسابات الامريكية رأساً على عقب وتفجرت حرب طاحنة بين المقاومة العراقية والغزاة، وفتحت ابواب الجحيم على الشعب العراقي البائس، وقامت القنابل «الذكية» بحصد المدنيين الابرياء، أما أن للدول التي تدعم العدوان بأن تراجع حساباتها وان تغير موقفها وتنفض أيديها من وزر آلاف الضحايا من الشيوخ والنساء والاطفال الذين يسقطون مضرجين بدمائهم.

ان الذي يحدث اليوم في العراق يعتبر غريبا بكل المقاييس الدولية والانسانية، فغزو العراق يحدث على مرأى من عالم المفروض فيه ان يكون متحضراً وتسود فيه مبادئ الكرامة والانسانية والمساواة. والاغرب من ذلك هو افرازات الحرب المختلفة، فلقد خرج علينا المتحدث الرسمي لرئيس الوزراء البريطاني «بلير» ليعلن «اشمئزازه» و«استياءه» من عرض «قناة الجزيرة» لصور جنديين بريطانيين قتلا في معارك عنيفة مع القوات العراقية في منطقة الزبير قرب البصرة. لا نعلم لماذا لا يستاء «بلير» من عرض الصور المروعة للنساء العراقيات الجريحات واطفال العراق الذين تهشمت رؤوسهم وتفجرت احشاؤهم، ام ان بلير لا يزال يعيش وهم «بريطانيا العظمى» فمشاهد الاسرى البريطانيين تجرح كبرياءه وغروره. فيما يعتبر المئات من القتلى والمصابين من الشعب العراقي بأنهم من جنس البشر، فلذلك لا يمانع في عرض صورهم على شاشات التلفزة بينما يمانع عرض صور الجنود البريطانيين الاسرى الذين جاؤوا عابرين المحيطات والقارات من اجل غزو العراق.

افرازات الحرب كذلك هي المحاولات المتكررة لخداع الرأي العام، والحرب الاعلامية التي تدور رحاها جنباً الى جنب مع الطائرات والمدرعات، فالاعلام الامريكي والبريطاني يعمل جاهداً من اجل قصف وتدمير الحقيقة وطمس الاخفاقات المتكررة التي منيت بها الجيوش الغازية في العراق، وتشويه صورة الشعب العراقي وبسالته في الدفاع عن ارضه ووطنه. ان أقل ما يقال عن الاعلام الامريكي انه يقوم بعملية استخفاف بالعقول، فالتعتيم المقصود على هزائمه العسكرية يدعو الى الدهشة والسخرية، فلقد اصبح مصطلح «النيران الصديقة» ملازماً لغزو العراق والشماعة التي تعلق عليها القوات الغازية خسائرها البشرية واخفاقاتها العسكرية. ان الاعلام الامريكي يعمل جاهداً من اجل اغتيال الحقيقة، والشواهد والدلائل اكثر من ان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية